تحليل نقدي لعناصر الدلالة الخطابية في سورة الضحى

[A Critical Discourse Analysis of Meaning Elements: Suratu Duha a Case Study]

ABDUL HADI ADENIYI SALAHUDEEN
Department of Arabic & Islamic Studies, Faculty of Languages and Communication Studies, Ibrahim Badamasi Babangida University, Nigeria
dr.hadiadeniyi@yahoo.com

Article Progress:

Submission date: 01-12-2023
Accepted date: 20-12-2023

ABSTRACT

This paper explores meaning elements that enhance the researcher in exploring what the content is teaching. It emphasizes the contribution of cohesion and vowels changing in specification of the text meaning. The paper also discusses features that distinguished a highquality sentence from dreadful ones. It also elaborates significance of these vowels along with mentioning positions where these vowels restrain from meaning. In the nut shell, it draws a critical discourse analysis with elements of meaning on suratu Duha (chapter 93) of Holy Quran where some lessons were drawn out with assistance of these elements. The researcher follows descriptive and analytical methods in preparing this paper. Finally, the writer arrives at some results which include: confirmation of some elements that contribute to specification of meaning in text or sentence. That vowels and cohesion are two main elements in distribution of text meaning and lastly these elements are tools that enhance getting hidden meanings.

Key words: *Critical Discourse, Meaning Elements, Suratu Duha, Text, Cohesion*

المقدمة

تعدّ الدلالة علما جوهريا من بين علوم اللغة. إذ تهتم بتفكيك الرموز اللغوية وبتحليل الأصوات المركبّة والمفردات المنظّمة في الجملة أو النص. ولا يستطيع المحلّل اللغوي أن يجذب المعنى قطعا، أو يستلهم التراكيب اللغوية إلا بالاعتماد على عناصر تساعده في توطيد رأيه وتوثيق موقفه على أمر من الأمور. اعتنى الفلاسفة والمناطقة واللغويون بكيفية معالجة معاني الوحدات الكلامية؛ ورأوا أن الدلالة أمر ذاتي، يقع خارج نطاق التقصي العلمي، كما أن تأثير علم النفس السلوكي في بعض المذاهب اللغوية الأمريكية كان مما ضعف شوكة الدلالة، "إن طرقهم في معالجة أي جزء من الموضوع تحت الدرس تختلف حسب المناخ الفكري السائد، كما هو الحال في العلوم الأخرى بصورة عامة والعلوم الاجتماعية بصورة خاصة. بل مرت فترات في الماضي القريب، وبصورة خاصة في أمريكا، وفي الفترة ما بين عام 1930م ونهاية الخمسينات أهمل فيها علم الدلالة اللغوي" (لاينز 1987، ص6)، إذ يعتمد فهم الجمل وشرحها على الملكات الشخصية من مدى القدرة والكفاية اللغوية الخاصة، وفهم قوانين اللغة المدروسة، وثقافة المحلّل، وتجربته وحذقه في القضية المطروحة. فأصبح المحلل حرّا في الاستدلال على المعاني، واتخاذ القرار في الأمور المطروحة. وكانت مما يساند المحلل في مجال تحليل الخطابات العربية القرائن اللفظية والمعنوية، فاللغة ليست مجرد ألفاظا فحسب، بل مجموعة الروابط التي تقيمها بين الأشياء بفضل الأدوات اللغوية، وتلك القرائن هي المعاني المتباينة التي تعبّر عنها، فالألفاظ لم توضع لتعيين الأشياء، وإنما وضعت لتستعمل في إخبار صفة أو حدث عن تلك الأشياء. ولم تقتصر العناصر التي تستعمل في استيعاب النصوص على الربط أو القرينة فحسب، بل امتدت إلى الحركات الإعرابية، وهي آلة تستعمل في بيان الغموض واللبس من القضايا، وتوضح بين الأفكار المتشابهة والمعلومات التي صعب فهمها من الخطابات.

كاد يتفق علماء اللغة العربية على أن الحركات الإعرابية رموز أصيلة يعتمد عليها أصحاب العربية في البيان والتبيان. وبلغ بهم الأمر حتى صرح بعضهم ومنهم قطرب، وإبراهيم مصطفى وغيرهما أن لهذه الحركات معان: يدل الرفع على الإسناد، ويرمز الجرّ الإضافة، بينما لا معنى للفتحة إلا الخفة. ومهما يكن من شيء، فإن الحركات الإعرابية أداة لا ملجأ ولا منجى منها في اللغة العربية خاصة واللغات السامية على وجه عام. (مصطفى، 1992ص 50).

تحاول الدراسات اللغوية القرآنية عبر عناوينها المختلفة على استنباط محاسن الآيات القرآنية وسورها، حتى يبرز حقيقته ويزيد جودته في صقع من أصقاع الأرض. ولهذا يرى الباحث أن يدلو دلوه المتواضع إلى دراسة بعض عناصر الدلالة في طي سورة الضحى لكي يبرز ما وضع الله فيها من المعاني الثمينة والدلالات النفيسة. ولما كان القرآن الكريم منزها من أن ينتسب إلى الناس، بل هو كتاب مقدّس؛ ومنزّل من الله سبحانه وتعالى لفظا ومعنى ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور، فإن ذلك يضطرّ وجوب سهولة فهمه للجنس الإنساني. وباتصافه بهذه الميزة (سهولة الفهم) تحدى العرب الأقحاح حين يهبط المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعجزوا من أن يأتوا بمثله، أو بآية تحاكيه، مع ما بلغوه من الفصاحة والبلاغة. "ونراهم أيضا لاحظوا شيئا من ذلك في النثر خصوصا القرآن الكريم، فإنه يضع كلاً من الجزل في الألفاظ والرقة في موضعه المناسب له، فيأتي بالجزل مع قوارع القرآن عند ذكر الحساب، والعذاب، والموت،

والنشور، وما جرى هذا المجرى. ويأتي بالرفيق مع الرحمة، والرأفة، والمغفرة، والملاحظات، في خطاب الأنبياء، والمنيبين، والتائبين مع العباد... كما جرى أسلوبها في سورة الضحى كأنه نسيم حفيف ينعش النفوس ويثلج الصدور "(ضيف 1999 ص42).

معايير دلالة العبارة

المعيار الأول: وضع العلماء والباحثون معايير يجب أن تتّصف بها العبارة حتى تكون مقبولة لدى الجمهور. فأولها: ألّا يكون المعنى الذي يؤديه التعبير خاليا من الفائدة، لكونه مبتذلا ومعلوما لكل أحد. يضَع المتلقي الحوار ليشعر الملقي ما يخطر في قلبه. ولهذا يجب أن يلقي المتحدث ما يفيد المستمع، خبرا كان، أو وصفا لشيء يراه؛ ويودّ أن يستفيد منه الغائب. أما لو كانت المحادثة خالية من الإفادة؛ فحري للمتكلم أن يسكت عن الكلام وينصت حتى لا ينظر إليه بوجه ذليل. وإذا قال القائل: (الليل مظلمٌ والنهار مضيءٌ) (تمام 2007، 72) فماذا يستفيده المستمع! من أمر عاد معلوما بالعادة، فيجب على المتحدث أن يجعل هذا القانون في قريحته حتى لا يُردّ كلامه عليه أو ينسب إلى من لا عقل له. (ابن حزم، 2000، ص8).

والمعيار الثاني: ألّا يكون الكلام متناقضا: إن مما يجب أن يتنبه إليه المتحدث في إيصال إلى المعنى المقصود الإفصاح والبيان، ولا يتم ذلك إلا إذا خلت العبارة من اللبس والغموض في الأصوات، والمفردات، والتراكيب، والدلالات. وإذا جاء المتحدث بكلام متناقض، أو نظم أصواتا متنافرة أو متقربة في المخارج؛ فإن الكلام لا يعدّ مفيدا، نحو قول القائل: (لمْ يلد لِأَبي محمدٍ ولد)، وإذا لم ينجب لأبي محمد ولدا فلماذا يناديه بهذه الكنية! "فكيف يكون أبا لمحمد من لم يكن له ولد" (السامرائي: 2000 ص 9) ومنه ما قاله صاحب الكتاب سيبويه: (ما كان مثلك أحدا أو ما كان زيد أحدا)، كان ناقضا لأنه قد علم أنه لا يكون زيد ولا مثله إلا من الناس" (سيبويه 1999، ج1، ص 27).

المعيار الثالث: ألا يؤدي التعبير إلى المحال، نحو قول أحد البله وقد دهسته سيارة: "والله لو متُ لشكوتُ صاحبَها إلى الحاكم" فمثل هذه العبارة لا تصح لأنها محال. إذ لا يمكن للإنسان الميت أن يشكو صاحب السيارة إلى الحاكم بعد وفاته.

المعيار الرابع: ألا يفيد الجزء الثاني من الكلام ما يفيده الجزء الأول، نحو: (مميت الرجل قاتله)، فإن هذا التعبير غير مفيد، وذلك لأنه افتراضيا يقول: (قاتل الرجل قاتله)، فأخبر بالمبتدأ نفسه. ومنه ما يقوله ابن جني: (أحقُّ الناسِ بمالِ أبيهِ ابنُه)، ... وليس على ذلك عقد الإخبار لأنه يجب أن يستفاد من الجزء الثاني ما ليس مستفادا من الجزء الأول، ولكن صحة المسألة أن نقول: (أحق الناس بمال أبيه أبرَهم به، وأقومهم حقوقَهُ)، فتزيد في الثاني ما ليس موجودا في الأول. وإذا

أفاد الجزء الثاني ما لم يفده الجزء الأول صحّ الكلام، وإن كان تكريرا، وذلك كقولك: (زيد زيد)، على معنى أن زيدا هو هو، لم يتغير أو هو المعروف" (ابن جني، 2004، ص226).

المعيار الخامس: أن يكون التعبير صحيحا من الناحية اللغوية جاريا على سنن الكلام الفصيح. بألا تكون العبارة مخالفة للقوانين الثابتة لوضع الكلام المفيد في اللغة المستخدمة. تشبه هذه الشروط جسرا يتصل بين المتلقي والملقي في فهم طرق وضع المفردات اللغوية، ويعلق بينهما في استلهام وقضاء الحاجة التي كانت بينهما. وإذا صرح القائل مثلا: ضُرِبَتْ البنت الهرة!!، فإن المعنى المقتصد غير متوافر، إذ اتصل التاء التأنيث بالفعل، ووضع السكون على التاء التأنيث مع التقاء الساكنين في الجملة، بينما جاوز تطبيق الفعل الوادر على الفاعل والمفعول به. ولهذا السبب فإنه يلزم أن يقول القائل: ضَرَبَتِ ٱلبِنتُ الهِرَةَ.

دلالة الحركات الإعرابية

لا مثيل لشدة التزام اللغة العربية بالحركات الإعرابية من بين اللغات السامية. فقد ترك بعضها هذه الرموز برمتها، كما نجد ما تهجر بعض وتغافلت ببعض آخر. فغدت قواعد التثنية والجموع مهجورة في اللغة العبرية، والحبشية... ولم تجد العربية ملجأ ليقلد هذه اللغات مع تطورها وتنميتها في كل لحظة، ذلك لتوطيد العلاقة بينها وبين القرآن الكريم. إذ تكلفت هذه القوانين في وضع الدلالات في القرآن، ولم يزل يذكر في أفواه الصغراء والكبراء من المسلمين إلى يوم الحساب.

أطنب العلماء والباحثون الحوار في حقيقة هذه الظاهرة، وآثارها في نظم اللغة العربية. وقد بلغ بهم الأمر حتى يرى بعضهم ومنهم سيبويه، والمبرد، وابن جني وغيرهم أن الحركات الإعرابية مسؤولة عن المعنى المقتصد وتشير إلى الدلالة؛ وهي ما نعتمد عليها في تفسير المنظومات النثرية والشعرية: يقول الزجاج: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة إليها، لم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني... " (الزجاجي، 1973، ص 68) فقالوا: (ضربَ زيدٌ عَمرًا) فدلوا برفع (زيد) على أن الفعل له وبنصب (عمرو) على أن الفعل واقع به. وقالوا: (ضُرِبَ زيدٌ)، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع (زيد) على أن الفعل ما لم يسم فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: (هذا غلام زيدٍ) فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه.

وقد عارض أبو علي قطرب هذه المسألة منذ زمن قديم؛ ويقول: لم يُعرب الكلام للدلالة على المعنى، والفرق بين بعضها وبعض، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني، نحو قول القائل: إنَّ زيدًا أخُوك، ولعلّ زيدًا أخُوك، وكأنّ زيدًا أخُوك، كما نجد أسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني، نحو: ما زيدٌ قائمًا، وما زيدٌ قائمٌ، وما رأيتهُ منذُ يومَيْنِ ومنذ يومَانِ... فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدلّ عليه لا يزول إلا بزواله. فقال قطرب أيضا رداً على هذه الفئة: "إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج،

فلما وصلوا وأمكنهم التحرك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام" (الزجاجي، 1973، ص 69). فجعل قطرب مهمة الإعراب اعتدال الكلام، وأنه لا يفيد شيئا من إشارة إلى دلالة الألفاظ كما ادّعى غيره.

وقال المخالفون ردا عليه: "لو كان كما زُعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفعه أخرى ونصبه. وجاز نصب المضاف إليه لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام. وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك... واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب واختلاف المعنى واختلاف الإعراب واتفاق المعاني في الأسماء التي تقدم ذكرها بأن قالوا إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تذكر بعد الأفعال لأنه يذكر بعدها اسمان أحدهما فاعل؛ والآخر مفعول، فمعناهما مختلف فوجب الفرق بينهما ثم جعل سائر الكلام على ذلك "(الزجاجي، 1973، ص71).

فالرأي الراجح عند الباحث هو إفادة المعنى من الحركات الإعرابية الأصلية والفرعية في اللغة العربية. إذ يصعب فهم النصوص المكتوبة والخطابات إذا لم يراقب ما يحتاجه التعبير أو الجملة من هذه الحركات. لأن وضع هذه الحركات يشير إلى المعنى المقتصد من العبارة. ويوطد هذا الموقف ويشهد على صحته ما يجري في مجال المعرفة في البيئات العربية عامة وفي العالم الإسلامي للناطقين بغير العربية على وجه خاص.

الحركات الإعرابية التي لا تفيد الدلالة

ومهما يكن من شيء؛ فإن تأثير الحركات الإعرابية في الدلالة أمر لا مفرّ منه، إذ مالت شرذمة من العلماء إلى جانب من قال إنها عنصر يستعين به المتحدث العربي في إبلاغ مقاصده وإلقاء ما يشتهيه إلى المتلقي، إذ يصعب جزم المعنى بدون اعتبار هذه الرموز الإعرابية؛ غير أننا نجد بعض مواقف لا تستفيد الحركات الإعرابية التنوعات المعنوية. وكان مما ذكره الباحثون ما يلي:

اختلاف اللغات: سجل اللغويون والنحاة بعض لغات العرب، والذين نقلت عنهم اللغة العربية من قبائل العرب، هم: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم... ، (تمام، 2007، ص73) واعتمدوا على بعض الخصائص في اختيارهم. وقد ورد في بعض ما سجله اللغويون اختلافات في إعمال بعض الأدوات وإهمالها، فما كان معمولا لدى قوم قد يكون مهمولا لدى غير، نحو إعمال (ما) عمل (ليس) في لغة الحجاز نحو: (ما محمدٌ قائماً)، وإهمالها في لغة التميم نحو:(ما محمد قائمٌ) فهذه الاختلافات في الحركات الإعرابية خالية من المعنى في كلتا الجملتين.

وكان **الاتباع والمجاورة** من المواقف التي لا تدل حركاته الإعرابية على معنى. يقوم الاتباع على الانسجام الموسيقي بين الكلمات والحركات، وحركات الاتباع لا تدل على معنى، نحو: قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكةُ اسجُدوا لآدم)

(سورة البقرة: 34) بضم التاء اتباعا لضم الجيم في اسجُدوا. ونجد مثال المجاورة في مثل قولهم: (هذا جحر ضبٍ خربٍ) (سيبويه، 1999، ص217)، بجر (خربٍ) لمجاورة ما قبله. فهذه الحركات في القراءات المذكورة لا أثر لها في المعنى قط. ومن الحركات الإعرابية التي كانت خالية من الدلالة حركة النقل كقراءة من قرأ قوله تعالى: (قدَ أفلح) بفتح الدال لمجاورته للهمزة بعدها. وقوله تعالى: (ألم تعلمَ أن الله...) بفتح الميم، وذلك بنقلهما من الهمزة بعدهما (المكي، 1987، ص76).

وكان من المواضع التي لا تساهم حركة الكلمة في تحديد معناها حركة الحكاية، وذلك كقولهم: (من زيداً؟)، لمن قال: رأيتُ زيداً، و(من زيدٍ؟)، لمن قال: (مررتُ بزيدٍ)، يحكون الكلمة كما نطقت. جاء في الكتاب: اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل: (رأيت زيداً)، (من زيداً؟) وإذا قال: (مررت بزيدٍ)، قالوا: (من زيدٍ؟)، وإذا قال: (هذا زيدٌ)، قالوا: (من زيدٌ؟). (سيبويه، 1999، ص65) ومنه حركة التخلص من الساكنين نحو قوله تعالى: (لم يكنِ الذين كفروا من أهل الكتاب) (سورة البينة: 1)، فالجر في (يكنِ) لا يشير إلى الدلالة. ومنه حركة الخفة، نحو قوله تعالى: (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم...) (سورة المائدة: 54)، ومنه حركة المناسبة نحو: (إن أبي يدعوك)، ومنه حذف الحركة لسبب غير إعرابي، وذلك كقراءة أبي عمرو: (إن الله يأمرْكم) وقوله تعالى: (فتوبوا إلى بارئْكم) (سورة البقرة 54)، نجد أن الحركة محذوفة في لفظ (يأمرْكم) وكلمة (بارئْكم) ووضع السكون في مكانهما ولم يأت من هذا الحذف الزيادة في المعنى أو التغير. وكثير من هذا الحذف سببه التخفيف (الفراء، 1955، ص38) ومنه الضرورة: وذلك أن لغة الشعر لغة خاصة وأنه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره، وذلك نحو قوله: أمن أم في دمنة لم تكلمِ بكسر الميم من تكلم. وكل هذه الحركات ليست لها علاقة بدلالة الإعراب، أعني وجوده وحذفه لا يرمز إلى المعنى بل استفادت فائدة أخرى (السامرائي، 2000، ص41).

ماهية القرينة

تعدّ صياغة العبارة وربط الكلام بعضه ببعض ليستقيم المعنى ضربا لا يحتاج إلى قرينة في فهم مضمونه، ووافقت دلالته الظاهرة دلالته الباطنة من غير إبهام أو احتمال آخر في المعنى، نحو قوله تعالى: (الله الذي خلق الله السماوات والأرض وما بينهما)، (سورة السجدة: 4) فإن الدلالة في هذه الآية الكريمة ظاهرة، لا يجد الغموض أو الالتباس إلى فهمها. والضرب الثاني: لا يتضح مقصوده إلا بقرينة، نحو: قولك: (رأيت أسداً) بمعنى رأيت الرجل الشجاع، فإنه لا تتضح هذه المعاني إلا بالقرينة التي تصرفه عن معناه الحقيقي أو تصرفه إلى أحد المعاني المشتركة. إذ كان مخالفا للعالم الخارجي أن يجد الإنسان الأسد الحيوان المفترس هكذا من دون حل تسده عن الناس، أو زيارة حديقة الحيوان، وإذا قال القائل (في الفصل) فهذه هي القرينة التي تؤيد صحة قوله وتثبته وتزيل الغموض عن مضمون الجملة.

ظهر مصطلح القرينة في عصور لغوية متأخرة، فاستعمله الزمخشري في مفصله ووضحه شارحه ابن يعيش واستقرت عند النحاة بعدهما قرينة لغوية. (كوليز: 2009، ص19). فالمعنى اللغوي المطابق للقرينة اللغوية هو الربط، لأن القرينة في الجملة تسهم في ربط أجزاء الجملة وإظهارها وحدة كاملة واضحة السمات والمعالم والدلالات. والقرينة عنصر مهم لفهم الجملة، فبها تعرف الحقيقة من المجاز، ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة، ونعرف الذكر والحذف، وخروج

الكلام عن ظاهره، وما إلى ذلك مما يحتمل أكثر من دلالة في التعبير. للقرينة مترادفات في اللغة العربية، فهي الآلة لدى سيبويه، والرابط عند المبرد، والدليل أو الإمارة عند ابن بابشاد (السامرائي، 2000، ص21).

وقد أطنب الباحثون في دراساتهم اللغوية عن هذا الموضوع، فقسموها إلى أقسام عديدة بالنظر إلى ما ترمزه العبارة، فبعضهم أمعن النظر في التركيبات وما تحتوي عليه الجملة في القواعد اللغوية، نحو كوليزار (كوليز: 2009، ص12) حيث نوّع القرينة إلى القرائن اللفظية، والمعنوية، والصرفية، والنحوية، والصوتية... وأما صالح السامرائي فإنه اختلط بين ما ذكره كوليزار ثم أضاف إليها القرينة العقلية، والحالية، وقرينة السياق والمقام. (السامرائي، 2000، ص25) وسيعتمد الباحث في طي الدراسات التحليلية على تقسيمات هاتين المؤلفين فقط.

تطبيق عناصر الدلالة في سورة الضحى

وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

مما اعتنيه العلماء في مجال تفسير القرآن الكريم أسباب نزول الآية، وهي بمثابة المقام، ويراعيها الباحثون أيضا في تحليل الخطابات والنصوص. إذ ما أحاط بالتعبير المحلل من الأحداث والوقائع تنشر أسرارا للمعنى المستهدف، ويشمل المقام المعلومات التي توطّد المعاني، ويُستنبط به ما لا تملكه الأصوات في إبراز الدلالة واسعة النطاق. ويصفح المقام أيضا ما ركد من المعلومات كما يفسح المجالات للحصول على معاني الخطاب المحلل. وقد ضمنت كتب التفسير إشارات تعد سببا لنزول هذه السورة وهي استفسار صدر من المشركين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه ما سمعواه من اليهود والنصارى عن ثلاثة أشياء: أصحاب الكهف، ونبي الله ذي القرنين، وما أهمية الروح. وقد اجترأ الرسول في ردّه عليهم من دون أن يذكر مشيئة الله تعالى. وذكر الإمام القرطبي أسبابا أخرى لنزول هذه السورة منها ما روي عن البخاري عن جندب بن صفيان قال: اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءته امرأة فقالت: يا محمد!، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل: والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى. (القرطبي: 2006: ج22، ص338) وبهذا الصنيع فتر الوحي بين السماء والأرض عقب هذا الاستفسار لمدة طويلة. وشرع الكفار يفترون على الرسول وعلى رسالته العالمية. فينبغي لمن يريد الجودة في تحليل هذه السورة اعتبار هذه الحادثة والاستفادة مما تحتمله إياها، التي تجيب عنها السورة الشريفة. لأن هذه السورة " ...كلها خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم، كلها نجاء له من ربه، وتسرية، وتسلية، وترويح، وتطمين. أنسام من الرحمة، وأنداء من الودّ، وألطاف من القربى، وهدهدة الروح المتعب، والخاطر المقلق، والقلب الموجوع"(قطب: 1983، ج6،ص236).

استهلّ رب العزة هذه السورة بالقَسم (والضحى* والليلِ إذا سجى*) صادف هذا القَسم حال الإنكار والعناد الشديد الذي كان عليه المشركون وتهاجرهم للرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وهي قرينة المقام. ونشر الملحدون أن رب محمد تركه وغضب عليه، وقطع عنه النزول، وما دل ذلك هذا التقطّع على شيء؛ وإنما يدلّ على كذب محمد، وافترائه عندهم. وإذا صدر الوحي عقب هذه الانقطاعات بدون قسم؛ فإنه لا يستشعر المقام الذي حدثت فيه الحادثة. وجمع الله في هذا القَسم شيئين ضدين أحدهما (الضحى) التي كانت رمزا للضوء والاستمتاع، إذ تتكوّن الشمس في ذلك الوقت كما أقره الفيسيولوجيون على نوع هام من فيتامينات تفيد جسم الإنسان، ولا يقلّ ذلك ضوئه ونوره في إظهار ما في الكون من الكائنات الحية وغير الحية. والثاني (الليل) قسيم الضحى، وهي ترمز الظلمات، وما أطلق الله الليل من دون وصف، بل كانت متصفة بالسجا، " لا الليل على إطلاقه بوحشة وظلامه، الليل الساجي الذي يرقّ ويسكن، ويصفو، وتغشاه سحابة، رقيقة من الشجى الشفيف، والتأمل الوديع، كجو اليتم والعيلة، ثم ينكشف ويجلى مع الضحى الرائق الصافي، فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار، ويتم التناسق والاتساق" (قطب: 1983، ج6، ص236). فالجمع بين الاثنين كما يرى الباحث يدل على تبديل ما زعمه المشركون تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الكراهة والغضب، والتوديع...، وأن النور أي البهجة، والسرور، والانبساط، أتى بعد ظلمة الليل الغامش.

(ما ودّعك ربك وما قلى) جواب القسم، فذكر الله بعد ذلك ما كان يقسم عليه مباشرة، نفي التوديع وإنكار القلى من قبل الله إلى رسوله. فبدأت الجملة بالنفي، وهو (ما) الذي يفيد النفي باستمرار؛ ومما يشير إلى قوة هذه العبارة اتصال المفعول به بالفعل، وتأخير الفاعل، فهي قرينة دلالية، إذ يلزم تقديم الأهم فالأهم، ليرمز الدلالة الواضحة للآية الكريمة، وجاء إثر ذلك الجملة الفعلية (قلى) من دون ذكر المفعول به؛ لأن القرينة تغني عن ذكره (المفعول به). ونفت الآية غضب الله وبغضه على رسوله وإن فتر الوحي عنه، فإن الله سبحانه أدّب رسوله وأتباعه إلى يوم القيامة بهذه الحادثة، وأكد هذا التأديب بانقطاع الوحي، لكي يتبصر به المسلمون ويعرفون أهمية قوله (إن شاء الله) في كل ما يقومون به، فلا يتغافلون عن هذه الكلمة، بل يستشعرون بوجود الله وقدرته عليهم في كل وقت، ولا يعيشون عيشة الكفار الذين لا يعترفون بمشيئة الله لهم في نشاطاتهم، بل يعتمدون على قدرتهم وبطشهم في إنجاز الوعد أو العمل. فإن ذكر الله دائما يدل على قرب العبد لربه تعالى. ثم أتى بما ينفيه وهو أن الله ربّ محمد ما تركه قط، وما غضب عليه، بل قضى سبحانه ما حدث على رسوله لأنه أسوة للمسلمين، وقدوة حسنة لهم، وإذا تركه الله في هذه الصنيعة المكروهة؛ فإن أتباعه لا يستشعرون بقدرة هذه الكلمة وأهميتها في تقدم عجلة المعاملة من بين أظهرهم.

واستخدام الله الفعلين (ودّع، وقلى) قرينة تشير إلى توطيد الموقف، إذ كل منهما مترادفان ومتجانسان في الدلالة، وأتى بهذه الكلمات مسبوقة بالنفي لإثبات رضائه وبهجته للرسول ضدا ما زعمه المشركون الذين يريدون إيذاء روح الرسول، وإيجاع قلبه، وإغلاق خاطره صلى الله عليه وسلم. وأضاف الله الرسول إلى نفسه، فوصفه بعبده (ربك) وهي قرينة لفظية، لكي يشعر الرسول بمحبة الله له، وإنما وقع ما وقع تأديبا وتهذيبا له ولأتباعه صلى الله عليه وسلم. فالذي رباه إلى هذا الوقت، فإنه لم يهجره، ولم يتركه هملا، بل أراد أن يؤدّبه ويرشده إلى ما يميزه عن غير من فضائل الأخلاق.

(وللآخرة خير لك من الأولى) وظف الله أداة العطف (الواو) ليتسق ويتحد هذا التعبير، كما جاء بلام القسم والتوكيد ليثبت به مضمون الجملة وهي قرينة نحوية. ووعد الله رسوله وأقره لنبيه صلى الله عليه وسلم أيضا أن عاجله ومستقبله سيكون أحلى من آجله وحاضره. فهذا الوعد نادر للعنصر الإنساني، إذ الإنسان معروض للمصائب والبلواء. وما منح الله عبدا من عباده ذلك العهد، وما طمأن أحدا كائنا من كان على مستقبله، بل الحياة بجملتها تمشي على الغيب. ورأى الله تعالى انتقاء رسوله بهذه الميزة حتى يعلم المشركون قدر الرسول واهتمام ربه به. ولقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية تأتي مصداقيتها يوم القيامة حيث لا يرضى الرسول لأحد من أتباعه أن يدخل النار، لأن الله سيظل يسأله هل هناك أحد من أتباعه لم يدخل الجنة بعد، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يشفعني الله أمتي، حتى يقول الله سبحانه لي: أرضيت يا محمد؟!، فأقول: يا رب رضيت" (القرطبي، 2006، ج22، ص342) وسيصرّ الرسول صلى الله عليه وسلم على إسكان أتباعه الجنة حتى لا يبقى أحد شهد شهادته الشريفة وهو يدخل النار.

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) نجد الارتباط التام بين هذه الآية وما جاءت قبلها، فهي بيان شاف وتوكيد قوي لما سبق ذكره آنفا، حيث وعده الله أنه سيمنحه رغباته حتى يرى الكفاية، وهي قرينة لفظية. وقد ثبتت هذه الآية عطاء الله للرسول صلى الله عليه وسلم مع اعتراف إنسانيته (إن الإنسان لربه لكنود* وإنه على ذلك لشهيد* وإنه لحبّ الخير لشديد*) (سورة العاديات: 6-9)، ومع ذلك فقد وعد الله رسوله بمنّه وإحسانه إليه يوم القيامة حتى يرى الرسول الكفاية، ويستحيي أن يمدّ يديه في طلب المزيد والهدايا والعطايا بعد. ولا يتغافل الباحث في تحليل هذه الآية الكريمة ذكره تعالى لام التوكيد في بداية الآية وهي قرينة لفظية واضحة تشير إلى إثبات ما عهده الله، كما وردت كلمة "سوف" التي ترمز الزمن المستقبل، وهذه الآلة قرينة لفظية نعتمد عليها في أن هذا الثواب والجزاء لا تقع للرسول وهو على الأرض، بل ينتظره الرسول في يوم الحساب.

(ألم يجدك يتيما فآوى) ولما رأى الله عناد الكفار لهذه العطاء لأنها ستقدم في يوم القيامة الذي لا يومنون به، فشرع الله يذكر ما منّ على الرسول في الحياة وهم يشاهدونها مخالفة الوضع وما يعتاده الإنسان. ونستنبط من هذه الآية القرينة العقلية، حيث يذكّر الله المشركين ما فعله الله لرسوله من العطاء مخالفا للعادة. إذ ما يعرض على اليتيم هو الحياة الشديدة، وقلة الدعة والسرور في حياته، لأنه فقد الأبَ الذي يكلف معيشته، ويكبد ليلا ونهارا على إيجاد متطلباته في الحياة هو وأمه. ولكن الرسول مع كونه يتيما فإنه يجد الإواءة من الله تعالى، فرفع عنه الضيق والمشقة في حياته. ووظف أداة النفي (ألم) مسبوقة بأداة الاستفهام (الهمزة) فهي للإثبات والإقرار ونفي الريب والشك فيما يأتي بعده. لما رأى الله كبُر ما وعده للرسول، وعلم أنه قد يثير في نفسه شك أو ريب، أو يحتلم شدة جمع هذه العطايا لإنسان، بدأ الله أن يريه ويذكره بما منحه من الخيرات الدنيوية، التي لا يحصلها الإنسان على قوته وكيده. فبدأ بولادته يتيما، فاليتيم: الولد الذي لا أب له. فنجاه الله من عقاب اليتم، بل حول الله هذه المصيبة إلى منة له، فأعطاه الله من يراعيه ويشرف على أمره، ووقاه من كل

من أراد به السوء، وحفظه من كل ما يمنعه من تحقيق أمنياته، بما قام به أفراد أسرته وأعمامه تجاهه عند صغره، وما حفظه الله منه مما يعترض على اليتيم من العقاب والأذى، بل أعطاه الله تعالى ما لا يتفكر فيه فأواه وراقبه في كل خطواته، كما حماه من الخطايا والمعاصي. فهذا الامتنان الذي نفذه الله له على كيد الحياة، إشارة قاطعة على ما وعده الله في الآيات السابقة.

(**ووجدك ضالا فهدى**) كان العرب من أصلاب إبراهيم عليه السلام، فبعث الله رسلا كثيرين من ذرية إسحاق، بينما لم يبلغ عدد الرسل بين العرب عدد أصبع واحدة. ولهذا أنقذ الرسول العرب وأخرجه منهم رحمة لهم وللعالم بأظفارها. ولما أراد الله أن يمنّ عليه ذكر بعثته بين الأميين الضالين، الذين ندرت البعثة من بينهم، ولم يستطيعوا أن يشيروا إلى كتاب منزل لهم سابقا... وهذا مما تبرهن به الله على أنه سيمنحه ما وعده يوم القيامة، فالذي قدر وراقب معيشته منذ نعومة أظفاره فهو أولى أن يأتي بهذه الوعود يوم الميعاد.

(**ووجدك عائلا فأغنى**) استمر الله تعالى في ذكر امتنانه على محمد صلى الله عليه وسلم بحالته الاقتصادية، إذ يسلم الفرع بسلامة الأصل، فالفقر يتعدى بالنسب، ولما وُلد الرسول في أسرة متواسطة غير ثرية، فهذا بالضرورة يتأثر في حياته، ولكن الله تعالى جرى إليه من يقوم برعايته، ويتحمل أعباء الفاقة والحاجة، حتى لا يشعر بالفقر وآثاره في دعوته إلى الله تعالى، بزواجه إلى السيدة خديجة التي كانت تاجرة ماهرة يعترف بها الرجال التجار، فسخرها الله له، ومددت له الأموال ينفقها كيف شاء. فذكر الله له ذلك، لكي يكون على اليقين بما واعده الله يوم القيامة. ولقد وجد في هذه الآية قوله تعالى: (عائلاً) جاء على صيغة اسم الفاعل الذي يدل على استمرار والجودة، ولم يستعمل غيره لأن هذه الصيغة تشير إلى شدة الفقر لكن الله أنقذه منه من دون معرفته صلى الله عليه وسلم الطريقة. وهذه الكلمة (عائلاً) أيضا حال منصوب لتدل على صفاته التي وجده الله فيه. فكلمة (فأغنى) جاءت بزيادة همزة التعدية التي ترمز ما قام به الله له، من دون طلبه، بل أثراه الله تعالى وقرّب إليه أغنياء يساندونه في عمل الدعوة أمثال أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وغيره من الصحابة الذين عاشوا أثرياء وفوضوا القضاء على أموالهم لخدمة رسالة الرسول.

(**فأمّا اليتيم فلا تقهر**) ولما فرغ الله من ذكر امتنانه على الرسول صلى الله عليه وسلم، شرع أن ينصحه ويرشده إلى ما يتسبب سقوطه أو هلاكه، فقدم اليتيم لشدة حاله حيث لم يجد من يأوي إليه، أو يستشيره فيما نزل عليه من الآفات، فأوصاه ألا يتعامله بالقهر، وهو ما يغضبه أو يفزعه ويسخطه، بل يطلب مرضاه دائما لأنه في الأصل مغلوب وملهوف، ولا يزيد في حزنه بل يمسح دمعه عن عينيه، ويرفع عنه الضيق. ووجد من العناصر التي تساند في تحليل هذه الآية الكريمة تقديم المفعول به (اليتيم) على الجملة الفعلية، وتفيد هذا التقديم شدة اهتمام المتحدث بهذه الشخصية اليتيم، حيث يتقدم الفاعل، ويأتي المفعول به بعد الفعل والفاعل المستتر، ولكنه قدم المفعول به للإشارة إلى شدة اعتنائه به. كما لا تقتصر هذه العناصر على ما قدم ذكره، بل امتدّ إلى كلمة (فأمّا) فالفاء يفيد الاستئناف، وكلمة (أمّا) تنيب عن الجملة

(مهما يكن من شيء) أي يقول له بلغة جسمه انتبه ولا تنخرط في هذه المعاملة التي يهبط بها الناس من ذات الله تعالى، وهو الإقهار أو الاحتقار على اليتيم. وكل هذه العناصر تشترك جميعا في تأييد الرأي وتسديد الفجوات في فهم النصوص الخطابية.

(وأمّا السائل فلا تنهر) ثنّى الله في نصيحته للرسول صلى الله عليه وسلم ألا يزجر على السائل الذي يسأل الناس قبل أن يقضي حاجته، بل يلزم عليه أن يحترمه ويعامله بالوقور والاهتمام، لأنه عاجز ولا يستطيع امتلاك أموره بنفسه. فيقال في هذه الآية من دراسة عناصر الدلالة ما قيل في الآية السابقة بنفسها. يقول سيّد قطب: "ويمضي سياق السورة بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق. ليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به، ومودته له، وفيضه عليه. ويستمتع باستفادة مواقع الرحمة والودّ، والإيناس الألهي، وهو متاع فائق تحييه الذكرى.. "(قطب: 1983، ج6، ص238).

(وأمّا بنعمة ربّك فحدّث) ختم الله إرشاداته لنجاح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما أعاد إليه الرسالة بأن يتحدّث بنعم الله عليه، وهذا نوع من الشكر والاعتراف بما منحه الله، إذ ذلك يشير إلى تفكيره واعترافه لما أعطاه الله من النعم الظاهرة والباطنة، وهذا يذكره بما كان عليه سابقا من الأحوال البغيضة، ويوجه الناس الذين من حوله إلى أن الله لا ينسى أحدا، بل قضاء الله وقدره يخرج في حياة عباده في كل يوم، لأن الله تبارك وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، بل هو يعمل ليلا ونهارا من دون أن يعرضه تعب أو هوان في عمله.

نجد في آخر المطاف هذه الآيات الثلاثة الأخيرة (فأما اليتيم فلا تقهر* وأما السائل فلا تنهر* وأما بنعمة ربك فحدّث*) وما قبلها (ألم يجدك يتيما فآوى* ووجدك ضالا فهدى* ووجدك عائلا فأغنى*) سنجد الموازنة بين هذه الآيات الستة، حيث بدأ بأنه صلى الله عليه وسلم عاش يتيما، ولا ينبغي له أن يقهر اليتيم، وكذلك السائل لا يجوز له أن ينهره، لأنه مثله سابقا، بل الله أنقذه من الفقر والضيق، ثم وصاه أن يتحدث بنعمة ربه عليه ويذكرها، لأنه كان عائلا بل الله أغناه ووفّقه في سبيل حياته؛ حتى كان لا يشعر بهذه المشقة.

نتائج البحث:

وتوصل الباحث في نهاية هذا الدراسة المتواضعة على النتائج التالية:

1) إقرار وجود العناصر التي تساهم في تحديد المعنى في النص أو الجملة.
2) أن الحركات الإعرابية والقرينة بأقسامها عنصران مهمان في تنويع دلالات النص.
3) أن هذه العناصر أدوات تساعد في الحصول على المعاني المختفية في النص.

الخلاصة

عالج هذا البحث عناصر الدلالة، فهي عبارة عن العوامل التي تساهم في تحديد المعنى من النص أو الجملة. وأثبت ضرورية القرينة والحركات الإعرابية في اتخاذ الموقف والدلالة التي تشير إليه العبارة. وكان مما عرضها هذا البحث شروط دلالة العبارة التي تتصف بها الجملة قبل قبولها لدى المجتمع اللغوي. وتطرق أيضا إلى أهمية الحركات الإعرابية في الدلالة، وامتدت هذه الدراسة إلى المواضع التي لا تفيد الحركات الإعرابية فيها الدلالة، وما أفادته هذه الحركات هو اختلاف اللغات، والاتباع، والمجاورة، وحركة الحكاية، وحركة الخفة، وحركة المناسبة، واستشهد على هذه الظواهر بالأمثلة من القرآن الكريم وأقوال العرب. وجاء إثر ذلك بدراسة تحليلية نقدية تطبيقية لعناصر الدلالة في سورة الضحى، لاستخراج المعاني المختفية وتنويع الدلالات في فهم هذه السورة الشريفة.

التوصيات

يوصي الباحث طلبة اللغة العربية والدارسين عامة بما يلي:

1) استشعار عناصر الدلالة في شرح النصوص الدينية وغير الدينية.
2) تطبيق طريقة التحليل التي سلكها الباحث لكي نثبت هذه القدرة اللغوية في طلبة الجامعات.

المصادر والمراجع

Abu Abdullahi, Mohammad ibn. Ahmad ibn. Abubakar Alqurtubiy, (2006) *Al jaamiu Liahkaami Quran,* Beirut: Muhasasah Resaalah.

Abu l fathi Uthman ibn Jin, (2004) *Alkhasais*, Tahqiqi Abdulhameed Alhandaawiy, Egypt: Almaktabah at tawfiqiyah.

Abu l qaseem Az zajaaji, (1973) *Al ihdahu fi ilali Nahwi*, Beiruit:. Daaru ibn Azmi.

Abu zakariyah, Yahaya ibn Ziyaad Alfaraau,(1955) *M'aani l Quraan,* Cairo: Daarul Kutub l Masriyah.

Amru bin Qunbur (Seebawayi), (1999) *Al kitaab,* tahqiq Abdus salam Haruun, Beirut: Daarul kutub l ilmiyah.

Colzary Kakil A'zeez, (2009) *Al qareenah fi Luggatul Arabiyah*, Oman: daaru Dajlah.

Fadil Salihu Samaraaniy,(2000) *Al jumlatul arabiyyah wa ma'ana*, Beirut: Daaru ibn Azmi.

Ibrahim anees and others, (1972) *Al m;ujamul waseet*, Cairo: Maktabat Shuruuq Duwaliyah.

Ibrahim Mustapha,(1992) *Ihyahu nahwi,* Egypt: lajinatu ta liif wa tarjamah wa nashiri.

John Layson, (1987) *Alluhgatu walma'na wa siyaaq,* (translation of Abbas Sadiq Al wahaab). Bagdad: Daaru shun thaqafiyyah l A'amah.

Sayid Qutub, (1983) *Fi dhilaali l Quraan,* Beirut: Daaru Shuruuq.

Shawqi Dayfi, (1999) *fil adab wa naqdi,* Egypt: Daarul ma'arif.

Tamaam As Saani, (2007) *Ijthadatun Lugawiyatun*, Cairo: Aalamil Kutub.